

م الموضوعات الإسلامية - موضوعات مختصرة - الدرس (٦٨) : إيجابيات العدوان على العراق
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٣١-٠٣-٢٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

إيجابيات العدوان على العراق :

١ – سقوط قيم الغرب :

أيها الأخوة الكرام: طبيعي جداً أن ندرك الأضرار والمصائب الجسم التي أصابت أمتنا من هذا العدوان، لكن البطولة فضلاً عن ذلك أن تكتشف الإيجابيات في هذا العدوان، حاولت أن أتلمس هذه الإيجابيات، وأنا والله متتأكد من وجودها كتأكيد من وجودي الآن، أول إيجابية وأكبر وأضخم إيجابية لصالح الإسلام أن الغرب بكل قيمه التي أغري بها الناس لمئة عام سابقة، قيم الحرية، وحقوق الإنسان، والديمقراطية، والسلام العالمي، والرفق بالحيوان، هذه القيم جملة وتفصيلاً أصبحت في الوحل، قيم الغرب أصبحت في الوحل، من زمن قريب الشرق تداعى داخلياً، وانهارت قيمه الإلحادية، والآن بقي الغرب قوة طائفة كبيرة جداً، ونسأل الله أن يعافينا منها، إلا أن الغرب كحضارة يتتجز بها، كقيمة أصبحت في المقابل لا عند الوععين ولا المتقفين ولا الخبراء بل عند العجائز والأطفال، هذا أكبر إنجاز كان عقبة أمام الإسلام.

أيها الأخوة: الحقيقة المرة أن الغرب كان ينافس الإسلام حرية وديمقراطية وحقوق إنسان ولا يوجد نقرفة أبداً، فهذا الغرب الذي خطف أبصار الأرض، وصار هدف أي إنسان أن ينال الكرت الأخضر، الآن ضعه تحت قدمك، فهذا الغرب الذي خطف أبصار العالم لمئة عام سابقة أصبح بفكرة، ومبادئه، وقيمته، وحريته المزعومة في الوحل، هذا أكبر إنجاز.

٢ – تحريك المسلم و أعمقه :

الثاني: والله الذي لا إله إلا هو لا يوجد قوة في الأرض تجمعنا كهذا العدوان، أنا أجد تعاوناً وتعاطفاً وانصهاراً في بونقة واحدة، والله ما كنا نحلم بها، الإقبال على التبرعات، وبذل الدواء، والذهاب للقتال شيء يفوق حد الخيال.

والله زارني أخ هذا الصباح بكى وأبكاني قال: أنا معى خمسة أمراض أو ستة، وأمراض مزعجة في العمود الفقري، لا أقوى على أن أقوم واقفاً، ولكنني الآن أنا بنشاط لم أعهد في

حياتي، أريد أن أذهب لأقاتل، ما شاء الله يوجد اندفاع منقطع النظير، قضية بقاء أو لا بقاء، والله الذي لا إله إلا هو وأسائل الله في علائه ألا ينتصر هؤلاء الكفار، لو انتصروا لوزعت خطب الجمعة من السفارات، ولحذف ثلث القرآن، ندعوا الله أن يخنلهم.

فأول إنجاز أن الغرب سقط في الوحل بكل قيمه، والإنجاز الثاني: هذا العدوان حرك المسلم وأعماقه، وما كان له أن يتحرك إلا بهذا العدوان، والإعلام ساهم مساهمة كبيرة في توعية الناس، وفي مشاهد القتل والتدمير، ومشاهد النساء يبكين، والأطفال يذبحون، والشظايا في كل مكان...

٣ – كشف كل إنسان على حقيقته :

الإنجاز الثالث تتطق به الآية الكريمة:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَنْهَا الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

[سورة آل عمران: ١٧٩]

كما يقال في المصطلح الصحفي: ورقة التوت سقطت، كشف كل إنسان على حقيقته، لم يعد هناك شيء مخفي على الناس، هذه الورقة التي ستر بها عورته سقطت وظهرت عورته، ثم الآن ليس من حلّ أمام المسلمين إلا الجهاد ! هذه الفريضة المعطلة أربعينية عام، وتعطيلها كان بسبب هذا الضعف الذي أصابنا، الآن الكبار والصغر والحكام والمحكومون يدعون للجهاد.

٤ – العودة إلى الله :

لكن البارحة جاعني رجل والله قال كلاماً أشهد الله كأنني ملكت به الدنيا، سبب أن الله وقف معهم في هذه الأيام العشر، وأنهم وقع منهم ضحايا كثراً، ودمرت آليات لا تعد ولا تحصى، وترؤن هذا في الأخبار، السبب أنه منع الخمر في العراق كله من عام ستة وتسعين.

فالأخ الذي زارني البارحة كان بفندق خمس نجوم، وكل هذه الفنادق فيها خمر، صدر بأنه من نوع تناول المسكرات والخمر فيها، أقسم لي بالله لم ير امرأة ببنطال، ممنوع، كم طويل، تنورة تحت الركبة، هذا الحد الأدنى، هذا موجود، لا يمكن أن يفتح محل تجاري إلا إذا دخل دورة في فقه البيوع، وكل إنسان حفظ كتاب الله يعفى من السجن إذا كان مسجوناً، ولا يترفع ضابط إلا بحفظ خمسة أجزاء، هذه أشياء ذكرها لي..... الآن فسرت كيف وقف الله معهم في هذه الأيام، أنا أنقل لكم ما سمعت.

الطريق واضح أمامكم يا أخوان: لو أثنا أزلنا المنكرات كلها لتغير الوضع، فهناك إرباك شديد، والله صار أئف أمريكا في الوحل، أكبر دولة في العالم الآن يوزعون وجبة طعام واحدة، والآليات المدمرة تقوق حد الخيال كلها أحدث الآليات مضروبة ومهملة في الصحراء.

سمعت فرقة بكمالها في البصرة فتح السد عليها فأصبحت وحلاً، وسمعت أسلحة جديدة أكرمهم الله بها يضربون الدبابات من سبعة كيلو متر على شاشة الرادار دون أن تكشف السيارة، فهناك شيء جديد لم نتوقعه، فهذا التوفيق عزوه للاستقامة، والخبر لم يكن من شخص واحد إنما توالت عندي، لا أقول لا يوجد هناك معصية، لا، لكن على المستوى الرسمي هذا معذوم، إذا إنسان دخل بيته فهو حر، أما على المستوى الرسمي فبلغني أنه لا معصية، لا ترفع إلا بحفظ القرآن، ولا فتح محل إلا بدوره فقه، هذه بوادر النصر.

التوبة و الدعاء سببا النصر :

لخصت الخطبة السابقة: لم يعد عندنا إلا التوبة النصوح والدعاء لللحظ، إذا كان الله قادرًا أن ينزل طائرة، ثمنها اثنان وثلاثون مليون دولار، أحث طائرة في العالم أباتشي تنزل برصاصة من بندقية من خمسين سنة، يعني أن الله عز وجل وقف معهم، أو تصطدم طائرتان ببعضهما، أو يصطدم صاروخ بطائرة أميريكية ثمن كل صاروخ مليون وثلاثمائة ألف دولار، أربعة وعشرون صاروخاً دمروا، ستة وثلاثون جريحاً، هكذا يقولون هم وكله بالخطأ، سمعت كلمة خطأ مليون مرة !!!!! وكله كذب ! ليس خطأ.

فالحقيقة يوجد إحباط شديد، إذا تدخل الله ولكن نرجو أن نستحق هذا التدخل من الله من أجلنا، فالخطر علينا كما قال النبي الكريم فيما ورد عنه في الأثر: "نَهَا الْكَافِرُ شَرَّ مِنْ عَمَلِهِ". والله ببالهم أن ينالوا من بلد آخر بالسلسل، وهم مستعدون أن يفනوا هذه البلاد فناء كاملاً، من يومين ضربوا قنابل يورانيوم مخضبة، أثارها يبقى لستة مليارات سنة، لكن الله عز وجل بلاهم بمئة و أربعين ألف إصابة، مات منهم عشرة آلاف، منعوا من أن يداووا على حساب الحكومة، هذه ديموقراطيتهم، سمعت في ندوة علمية أن عندهم مئة وأربعين ألف إصابة أصابت جيشهم هناك ! فلا يوجد إلا الله، والوضع لا يتحمل.

الحرب كشفت ألفة المسلمين و تعاصدهم :

فأنا أقول هناك أربع إيجابيات: سقوط الغرب، وألفة المسلمين، والله سمعت قصصاً عن اندفاع المسلمين للجهاد في العراق شيء لا يصدق، وقالوا: إن بغداد تحت الأرض، عندما ضربوا وزارة الإعلام تألمت جداً، قالوا: هذه خلبية، عندهم أجهزة سنترال هاتف كلها متنقلة يسحبون فيها يضعون غيره، كل شيء سالك، لكن الحرب طويلة، وإن شاء الله دعاء الأخ لأخيه بظهور الغيب لا يرد.

شيء ثان والله جاءت أدوية لترسل لهنالك بالأطنان من هذا البلد الطيب، النبي قال:

((مَنْ جَهَّزَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَرَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَرَا))

[البخاري عن زيد بن خالد]

و هناك أناس تكفلوا أهل المجاهدين ومصروفهم الشخصي، فإذا تكفلت أهل إنسان ذهب للجهاد في سبيل الله فأنتم غاز:

((مَنْ جَهَّزَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَرَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَرَا))

والحمد لله يوجد خير كبير بهذا البلد، لكن الحرب طويلة، والأخطار كبيرة، ولا ينجينا إلا التوبة النصوح والدعاء اللوح، راجعوا أمركم كلها، وبيوتكم وخروج نسائكم، والله ما صدق أنه لا يوجد امرأة في العراق ترتدي بنطالاً أبداً !!! قال: الحد الأدنى العراق كلها أعلى لا بأس أما أقل فلا، ولا حمر مع أن العراق مشهورة بالخمر بشكل مخيف.

فالشدة سبب الاستقامه، إذا كنا أذكياء نستقيم من دون شدة، من دون ضرب موجع، الجماعة استقادوا.

ارتباط نصر الله لنا بطاعته والامتثال لأوامره :

و والله كنت في مؤتمر وآخر يوم كان هناك حفل ختام، وكان إلى جنبي مندوب العراق وأنا عن سوريا، فقال: إن الذي أصاب المسلمين من الألم والقهقح والبؤس والفقير لم يصبهم في شتى أقطارهم في مئة عام وبكى وبكينا معه، ثم قال: والله لقد ارتفع المسلمون عندنا في سلم الإيمان ما لم يرتفعوا به من دون عدوان في ثلاثة عام.

فالأخ الذي زارني البارحة أكد لي ذلك، تعاون، تواضع، أسعار رخيصة، مدينة رائعة، هناك بغداد مدينة ثانية تحت الأرض، وزير صرح قال: نحن متوقعون هذا العدوان و منذ عشر سنوات نهيئ أنفسنا، قصفوا الإعلام... كلهم مهياً، فلا يوجد غير الدعاء، وراجعوا أنفسكم، وتوبوا الله وكل المسلمين مع العراق، كل العالم مع العراق ولم تشهد الأرض في تاريخها - هندوس وسيخ وبوذيون ونصارى - هذا الموقف، بماذا نفسر هذا؟ هذا الفطرة البشرية الخيرة، الفضل الله أن الإعلام له سلاح ذو حدين، يريكم الجرائم بشكل واضح صارخ، هل يوجد أحد من يؤمن بالغرب؟ والله ثم والله أتمنى خيمة لكن لا أريد الكذب، لا أريد بناء شاهقاً وفيه كذب، بيت لين لكن يوجد فيه من يرحم طفلاً لا يقتل ولا يبكي، فبكاء الطفل يقطع القلب، كل شيء يتحمل إلا مرض طفل صغير بريء، وقنابلهم ذكية تصيب الأطفال والنساء والأحياء الشعبية وباصات ومخازن التموين والله عز وجل أراد أن يكشف الأمر.

العظمة إزارى والكربلاء ردائي فمن نازعني منها شيئاً أدقته عذابي ولا أبالي، فالكبير والتأله حتى الآن هم متألهون، إن شاء الله سيخرز لهم الله وينصرنا، لكن لا ينصرنا الله بالكلام بل بالفعل، كل واحد يأخذ موقفاً، يراجع بيته، ابنته ترتدي بنطالاً أنت مسلم تخرج من دون شيء، هذا ليس

مسلمًا، راجعوا بيوتكم، زوجاتكم، بناتكم، لا أريد من أحد منكم أن يبيع سيدى إياحي بحجة أن العمل عبادة، ولا نريد اختلاطًا.

سيدنا عمر له كلمة تهز الجبال قال: "اعلموا أننا ننتصر على عدونا بطاعتنا الله ومعصيتهم له، فإذا استوينا بالمعصية فالآقوى هو الذي ينتصر".

من عنده أباتشي ينتصر، من عنده إف ستة عشر، شبح، أفار، حاملة طائرات تمشي ثلاثة وستة وسبعين كيلو متر، ومن عنده مشفى في البحر فيها ألف سرير ينتصر، إذا كان هناك طاعة من قبلنا ومعصية من قبلهم ننتصر نحن على ضعفنا، أما إذا استوينا مع العدو بالمعصية، مثلاً مثلكم، لا أجد فرقاً بيننا وبينهم، عندهم معاصر، وربا، واستثمار أموال بالحرام، وبضاعة كلها محرمة تباع، ونحن مثلهم ما دام هناك معصية عندنا فالآقوى ينتصر، وقد سماه العلماء: نصر كوني ونصر استحقاقى وقضائى، والمعركة بين حقين لا تكون، وبين حق وباطل لا تطول، وبين باطلين لا تنتهي.

والحمد لله رب العالمين